

العزلة والمل يتجسدان في لوحة ذاتية للفنان العراقي سيروان بران

تعددت الأعمال التشكيلية التي تعبّر عن العزلة والمل، والتي تلقّاها الكثيرون كنوع من التظهير لكأية عميقة تحتاج إلى علاج. إلا أن هذه الأعمال باتت اليوم تعبّر عن واقع استحالة إلى واقع وجودي لم يتمرس الكثيرون على مواجهته. لكن الفنان التشكيلي العراقي سيروان بران أعلن عبر لوحة ذاتية عن تمرّسه بالملل وسيطرته عليه.

شكّلته مادة لونية متجانسة وفي نفس الوقت متوترة تتعبّر فيها عناصر اللوحة من كتب ورسومات وأوراق وقنبلة من سائل معقم، وضعها الفنان كإمضاء يشير إلى سنة تحقيق اللوحة والمشهد المرسوم في آن واحد بمعزل عن أية رغبة في استشارة أي شعور أو تعاطف من المشاهد، ومن الفنان ذاته. ثمة أمر آخر لاف في لوحة الفنان العراقي هو أن ما حوله من توتر إيقاعي يتدرجات لونية متقاربة قد تحوّل من مجرد مكان إلى زمن أثق بران بحضوره. وليس هذا الزمن الذي تحزّر اليوم من فكرة المرضية إلا زمن البطء والسكون الذي اعتادت مجتمعاتنا المعاصرة على الفرار والخوف منه وإدائه عبر ممارسات لا تحصي. ويصل عدد كبير من المفكرين حتى إلى ردّ الزواج والإنجاب إلى فكرة استجاب طوفان من الانشغالات على المرء تمنعه من التفكير في ضحالة الوجود وهشاشته.



لوحة سيروان بران أتت انتقاداً ساخراً لفكرة تصوير العزلة كضرب من ضروب الجنون أو الومعات الصحية

لوحة الفنان العراقي سيروان بران الذاتية تنطق بصريا بما قالته يوما المفكرة حنة أرندت "الإنسان الحديث لم يُقدّف إلى العالم، بل قُدّف إلى داخل نفسه".

والفنان العراقي من مواليد بغداد 1968. حاصل على بكالوريوس الفنون الجميلة من جامعة بابل، وهو عضو نقابة الفنانين العراقيين، وعضو اللجنة الوطنية للفنون التشكيلية.

أقام بران العديد من المعارض الخاصة وساهم في مشاركات جماعية دولية ومحلية، وحاز عددا من الجوائز منها جائزة الشباب الأولى في العام العراقي المعاصر 1995، ووسام تقديري من بيبالي القاهرة 1999، والجائزة التقديرية ببالي بغداد العالمي الثالث 2002، والوسام الذهبي من مهرجان المحرس الدولي بتونس 2002.



ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

كُرِس في جميع أنحاء العالم منذ ما يقارب السنة منطوق ومصطلح "التباعد الاجتماعي" ليبدو في عيون الناس هُجئة لم تعرفها البشرية من قبل. هُجئة صارت لها الآن قوانينها الخاصة، ولاسيما إن كان هذا التباعد الاجتماعي يعني بشكل حرفي، الحجر المنزلي التام والتخلّف الكلي عن ملاقات الآخرين. غير أن هذه "الهجنة الوبائية" في حد ذاتها لم تكن دائما ذات معانٍ سلبية في لوحات الفنانين التشكيليين، وهي حتما ليست بحالة معيشية جديدة أو إضافة معاصرة تجرّد محاصرتها وتفكيكها أفضل تفكيك.

اليوم، جاء الزمن لكي يُنصف فيه الفنان التشكيلي حتى لا تعود أعماله الفنية المُتحدّثة عن العزلة والوحدة مجرد دلالات عن حالات مرضية مُستغلة

تجرب مُعالجتها وحماية المجتمع من آثارها وتداعياتها. وقد قَدّم ولا يزال الفنان التشكيلي الشرق أوسطي كثيره من الفنانين الغربيين لوحات مؤثرة تنبض بمعاني العزلة والقلق الوجودي. لوحات لم تجد عن أجواء فنية مُكرّسة وإن اختلفت في الأساليب التعبيرية والأهمية الفنية والتقنية. ونستحضر من هؤلاء الفنانين التشكيليين العرب الذين اشتغلوا على هذه القضية، على سبيل الذكر لا الحصر، الفنان جوان خلف والفنان أنس سلامة والفنانة فلاح الصعدي والفنان جوزيف حرب والفنان زياد غزالي والفنانة عبير بخاري والفنان تامر مالك.

وفي هذا السياق أول عمل فني قد يخاطر على الببال، هو ما قدّمه مؤخرا الفنان التشكيلي العراقي سيروان بران. لوحة تغلب عليها تدرجات اللون البني رسم فيها نفسه جالسا في محترفه الفني في خضم موجة الحجر الصحي والتباعد الاجتماعي.

في اللوحة قلق وجودي؛ أجل، لكنه قلق تحت سيطرة الفنان، واستقبال لا يحتاج فيه الزائر بنظره إلى الرسم إلى تذكر الكمامة الوقائية وما صنعت في مجتمعاتنا ولا إلى استدعاء لتعاطف معسول تجاه صورة العزلة المُجسّدة، ولا إلى التفكّر في كيفية معالجة حالة العزلة كأمراض شاذ وجب الشفاء منه أو توصيفه بأنه خارج سياق الحياة العادية.

تجّء هذه اللوحة في حين تسترّج لوحات أخرى حديثة لفنانين آخرين معظم هذه الأفكار والمشاعر. ونذكر منها لوحة للفنان جوان خلف بعنوان "توستالوجيا" رسم فيها رجلا متوقعا على أريكة، ولوحة لأنس سلامة يجلس فيها شخص على طرف سرير ناظرا أمامه باستسلام وجودي إلى دخول البواب (أو فكرة الخوف منه) كزائر غير مدعو وغير مرحّب به.

يظهر الفنان العراقي بران في لوحته الذاتية متهاككا بازدياد على أرض الرسم وغير منفصل عن أجواء الغرفة، لا لونها ولا في سياق ضربات ريشته.

والأهم من ذلك كله أن لوحته تلك يمكن اعتبارها بمثابة انتقاد ساخر للكثير من النصوص التحليلية التي ذكرت أن اللوحات التي تتكلم عن العزلة هي في حقيقتها تصوير لضرب من ضروب الجنون أو الومعات الصحية/ النفسية. ما ميّز هذا العمل عن سائر الأعمال الفنية التي تناولت ولا تزال تتناول بكثرة موضوع رسم الذات في إطار العزلة أن الفنان يبدو في لوحته هذه، مسيطرا بهدوء ملحوظ على ذاته وعلى حالة من الملل الذي يبدو أنه حل بعد "وصلة" عمل منهك على إحدى اللوحات.

كما أن مرسوم الفنان ليس بمرسم عادي. إنه مرسوم

فنان مصري يستعيد «إسكندرية زمان» بألوان الحاضر

ياسر جعيسة يحوّل الذكريات المروية عن المدينة المتوسطة إلى لوحات فنية



الترامواي القديم بطل لمشهد حديث

واحدة لحميمية فُقدت في الزمن الحاضر. سبق لجعيسة أن أقام في العام 2017، معرضا بقاعة قرطبة بالمهندسين ضم 60 لوحة صوّرت حياة الشوارع بالعاصمة المصرية القاهرة، مرسومة بالأكواريل التي تستخدم عادة لرصد حالة الشارع السريعة، وهي خاصة تعدّ من أصعب الخامات للرسم، حيث أن التصحيح بها يكاد يكون من المستحيلات.

وهو ما ثمّنه اشرف رضا استاذ الديكور بكلية الفنون الجميلة بجامعة حلوان، بقوله "إن ما يميّز ياسر جعيسة قدرته على تنفيذ لوحات شفافة ومفعمة بالحركة عبر خامة الأكواريل، تلك الخامة التي تبدو بسيطة وسهلة إلا أنها تتطلب قدرة خاصة للفنان تعتمد على سرعة الأداء ولقاء اللون والتعبير التائيري".

في حين قالت الفنانة التشكيلية المصرية هناء حلمي "هو معرض قوي وجريء دون خطوط حمراء في الرسم لتوصيل الصورة الحقيقية التي وثقت أماكن هامة في القاهرة".

الألوان تأتي في مجمل اللوحات مشبعة بالوضوء في مزج فريد بين وقتين متباعدين؛ وضح النهار وظلام الليل

وفي العام الماضي، وبفلس الرواق أقام الفنان المصري معرضا جاء تحت عنوان "مأثبات"، ضم 35 لوحة بمقاسات مختلفة، قدمت تنوعات فنية رصدتها عين الفنان، حيث لا توجد قيمة موحدة للمعرض، لكن جعيسة رصد كل ما وقع تحت عينيه بأسلوب مختلف وشديد الخصوصية وبمهارة في استخدام خامة الأكواريل، إلى جانب لقطات ومشاهد من الطبيعة والبحر والشارع وغيرها من المشاهد الواقعية والتأثيرية.

وبدا جعيسة مسيرته التشكيلية كفنان محترف عام 1992 أثناء دراسته بكلية الفنون الجميلة قسم الرسوم المتحركة وفن الكاريكاتير، عمل بمؤسسة روز اليوسف، وجريدة الأهرام، ومجلة المجلة اللندنية، وجريدة المصري اليوم، وعدد من الصحف العربية والدولية كما رسم أكثر من مئة كتاب للأطفال.

ونظم جعيسة العديد من المهرجانات الفنية الدولية منذ 2012 وحتى 2019. كما شارك في العديد من الملتقيات الدولية والعربية في ألمانيا وإيطاليا واليابان وكرواتيا والنرويج وتركيا والولايات المتحدة وإيران، وله مقتنيات لدى الأفراد والشركات بمصر والإمارات والكويت وقطر وألمانيا وفرنسا، وله أيضا مقتنيات بمتحف كام بايطاليا، ومقتنيات بمتحف الكاريكاتير بتركيا ومتحف الكاريكاتير بالنرويج.

وهذا الانبعاث الجديد ليوم شديد الحركة في "إسكندرية زمان" لا يتأخر كثيرا، ليظهر في لوحة ثانية اسمت ألوانها بحركة الشمس لتصور محطة ترامواي المدينة وهي تصحو متأهبة لاستقبال المسافرين، ليكون الترامواي بطل المشهد، فهو أمين سير وسرّ ركابه على السواء.

وفي ثالثة تحضر عربات "الكارو" وهي تتجول في الساحات تبحث عن راكب لتعيده إلى بيته، أو توصل آخرين إلى قلب المنشية العاصرة بالحياة، وإن كانت تحوّل تلك الأمان، لقد تحوّلت الابنية إلى حكايات، شوارع وأبنية، سيارات قديمة تجوب الشوارع تحمل ذكريات أناس أمضوا فيها أسعد ذكرياتهم.

خامات وحكايات

ويضيف "قرّرت أن أحوّل تلك الصور الفوتوغرافية وتلك الحكايات المروية إلى واقع حديث ملموس وذلك برسم حياة تدبّ فيها، لكن بصورة حديثة، حياة ملوّنة حديثة، بحثت وشاهدت مئات الصور عن مصر، عن القاهرة والإسكندرية تحديدا، وكان قرارني أن أرسم شوارع الإسكندرية، أن أعيد شوارعها إلى الحياة، وأقضّ عليكم حكايتي معها عبر ما رصده عيني انطلاقا من صور فوتوغرافية قديمة".

أنت الألوان في مجمل لوحات الفنان الأخيرة مشبعة بالوضوء في تدرّجه اللوني بين أصفر وترابي وأسود قريب من الرمادي في مزج فريد بين وقتين متباعدين؛ وضح النهار وظلام الليل، وفي أخرى يجيء الضوء أصفر محمّرا يُحيل إلى اللقطة الأشبه بفيلم سينمائي قديم يوثق حركة الناس ساعة الأصيل، قبل أن يعسّس الليل ويرخي سدوله على الأجزاء فتغدو المدينة ساكنة إلى حين انبلاج فجر يوم جديد.



عين راصدة لحميمية مفقودة

يوصل الفنان المصري ياسر جعيسة احتفاءه بذاكرة المدن المصرية التي يستلهمها من الصور الفوتوغرافية القديمة أو عبر الحكايات التي سمعها من سكانها. فبعد معرضه "مأثبات"، الذي وثق فيه بعضا من حركة الناس ومعالم القاهرة، ما هو يستعرض في معرضه الأخير "إسكندرية زمان" جانبا من يوميات المدينة المتوسطة في ثلاثينات القرن الماضي وأربعيناته بألوان الحاضر الممتدة بصوئه نحو أفاق جمالية متجددة.

القاهرة - يضم معرض "إسكندرية زمان" للفنان التشكيلي المصري ياسر جعيسة المقام حاليا بغاليري النيل بالقاهرة، 65 لوحة جاءت كلها بالألوان الزيتية لتسرر بعضا من تاريخ مدينة الإسكندرية وأهلها، حيث نجح جعيسة إلى تحويل الذكريات التي شاهدها عبر الصور الفوتوغرافية القديمة أو تلك التي سمعها من خلال الحكايات المروية عن بعض سكان المدينة المتوسطة إلى واقع ملموس مجسّدة على لوحات حديثة.

انبعاث جديد

لوحات أعادت الحياة إلى شوارعها القديمة في حقبة الثلاثينات من القرن الماضي وكأنه عايش ذاك الزمان، وهو المولود بالقاهرة في العام 1970، فكيف له أن يرسم بكل تلك الدقة زمنا غير زمانه ومدينة غير تلك التي نشأ فيها؟



ياسر جعيسة

ذكريات الصور جعلتني
أتحلّ حكايات تجوب
المدينة، وإن لم أعشها

يقول جعيسة "بتحوّل الماضي إلى صور قديمة بالأبيض والأسود وتظل تلك الصور عالقة بالإنسان، كل منا مرتبط بماضيه، بصور، بحكايات،